

النقد الذاتي في شعر حيدر محمود

الدكتور محمد أحمد المجالي

جامعة مؤتة/ كلية الآداب/ قسم اللغة العربية

المقدمة

يهدف هذا البحث الى الكشف عن جانب هام من جوانب الابداع في ادب الشاعر الاردني حيدر محمود ، والمتمثل بالحديث عن النقد الذاتي (نقد الحكام والشعوب) في شعره .

ولعل من المفيد أن اشير وقبل البدء بالحديث عن شاعرنا الى ان هذا الموضوع (النقد الذاتي) كان وما يزال في شعرنا العربي الحديث علامة بارزة تميز معظم الشعراء العرب ممن ظلوا يؤمنون بأهمية اداء رسالتهم النبيلة ، ويدركون ان الادب صورة حية للمجتمع الذي ينتسبون اليه ، وأن الالتزام بتبعية ضخمة ليس الى تجاهلها من سبيل ، وعليهم ان يتحملوا هذه التبعية اذا ارادوا ان يكونوا ملتزمين ... وان يتصلوا بما حولهم ويكونوا قريبين من الناس ويصهروا كل عواطفهم وجوارحهم في بوتقة مشاعرهم وحاجاتهم ، والا يكونوا بمعزل عن مشكلات عصرهم ليتمكنوا من النفاذ الى اغوار هذه المشكلات بشعورهم وبفكرهم وثقافتهم ليشاركوا في البحث عما تحتاج اليه من حلول .

ومع تضخم حجم الحدث السياسي والاجتماعي في مجتمعنا العربي في الآونة الأخيرة ، وبالتحديد منذ النكبة وحتى الآن ، تضخم حجم هذا الموضوع وانما في شعرنا العربي ، فكثر قائلوه ، وأفردت له قصائد لا بل دواوين خاصة ، وتعددت اشكاله ما بين نقد انفعالي عنيف جارح هدفه التجريح والمس بالكرامة ، ونقد صريح عفيف خالٍ من الالفاظ البذيئة هدفه المصلحة العامة وتحقيق كل ماتصبر اليه الامة . وقد كان الشاعر الاردني حيدر محمود واحداً من الشعراء العرب ممن اهتموا بهذا الموضوع ، وجعلوه محورا رئيسا في قصائدهم ، فالقارئ لشعره يكاد يشعر

بان الموضوعات السياسية والاجتماعية هي الموضوعات الرئيسية فيه ، وان النقد الذاتي قد شكل العصب الرئيس لهذه الموضوعات .

ولعل لمعاناة الشاعر الكبيرة وتجربته المبررة أثرا واضحا في ذلك فقد عاش حيدر محمود في اعماق التجربة ، واستطاع ان ينقلها اليئا كما احسها بصدق ، وكما التقطها بعمق ، فنجح في ايقاد عواطفنا وهز مشاعرنا واثارتنا في مواقف الاثارة النفسية والفكرية ، ومن ثم تمكن من حملنا على تمثل هذه التجربة والتفكير بها ، والثورة على الاوضاع لانه كان يؤدي رسالة الالتزام على احسن وجه .

وقد دفعني للاهتمام بهذا الموضوع وعند هذا الشاعر بالذات غير عامل ، أهمها:
- قلة الدراسات النقدية القائمة حول الشعر الاردني المعاصر وبالذات مايتعلق منه بالموضوعات السياسية الجادة .

- المكانة المتميزة التي يمثلها الشاعر حيدر محمود بين غيره من شعراء الاردن ورغبتي في الكشف عن جوانب الابداع عنده شكلاً ومضموناً .

- الرغبة في الكشف عن مواقف الالتزام الوطنية والقومية التي يمثلها شعراء الاردن والتي يمكن ان تظهر واضحة في شعر حيدر محمود .

أما منهجي في الدراسة فقد جعلته قائما على الفصل في نقد الشاعر بين الموضوعات السياسية والاجتماعية ، فأفردت جزءا خاصا من البحث للحديث عن نقده للحكام والشعوب في الميدان السياسي ومايرتبط بهذا الميدان من موضوعات مختلفة ، وآخر للحديث عن نقده للحكام والشعوب ايضا في المجال الاجتماعي ومايرتبط به من قضايا هامة .

ثم خلصت بعد ذلك الى تسجيل بعض النقاط الهامة التي شكلت الملامح الرئيسية والبارزة في نقد هذا الشاعر شكلاً ومضموناً .

وقد اتكأت في دراستي لهذا الموضوع واعداده بشكله النهائي على أعمال الشاعر الكاملة ومانشر ايضا بعدها من شعر والذي جاء مجموعاً في ديوانه «المنازلة» .

وقد قمت بدراسة هذا الشعر دراسة دقيقة متأنية ، استطعت من خلالها أن أكون

بحثا لعله يعطي انطبعا واضحا عن ادب حيدر محمود وموقعه بين غيره من الشعراء العرب .

ليس اجد من نعت شعر حيدر محمود بالشعر المستنزف ، كما وصف الشاعر ذلك فقال :

وقريضي ... مستنزف

مثل جرحي

فأنا .. واحد من الشهداء !! (١)

سيجد القارئ لشعر حيدر محمود انه حقا امام قريض نازف ، وجراحات دامية مختلفة في منابعها ، متعددة في ابعادها ، ممتدة في ازماتها .
وضحايا النزيف في شعره شخصيات متباينة في جنسها وكنها وعصرها واسماؤها .. لكنها جميعا تشترك في وقوعها ضحية النزيف العربي .
ستكون فلسطين الشخصية الاولى في شعره التي نزلت الى حد الجنون ... الى حد الذبح ... الى حد الصلح ، الى حد التتكر لابنائها :

لكنها رغم حبي لها

وهيامي بها

نبذتني

واعطت مفاتيح ابوابها

الموصدات

لمن عذبوها

ومن صلبوها

ومن اكلوها

ومن شربوها (٢)

وسيقودنا شعره الى مفارقات عجيبة ، ومشاهد مأساوية تحيط بالقضية وتكاد تخنقها ، يشترك الابناء والاعداء معا في رسم خيوطها واحكام التفاف حبلها حول الجيد الفلسطيني .

وغير فلسطين سيظهر ايوب الفتى الفلسطيني مطعوننا من الخلف ، مخنولا من قبل اخوته ... تطارده المنافي .. وتسلمه السجون الى السجون .
وتسقط اللغة العربية لغة الاعشى والشنقري .. لغة الصحراء والنخيل وسوق عكاظ
بضاعة فاسدة ، وتسمى رائحة الشعر كرائحة السمك الميت ، وتخرج الكلمات حين
يسره حال اللغة العربية .

وتستندل عبايات العز العربي بعد ان طلعت على العالم بأسره بالفروسية والشعر
والسحر والفقه واصول الدين .

ويذهب نفظان ضحية غبانه ، وتتسرب ممتلكاته من بين يديه بينما هو (مكروغ)
على مقعده ، سادر في غفلته ، والطائرات تنقل ماينبع من سرة الجمل العربي
ولايري .

ويسقط المجتمع العربي جريحا وسط دوامة النفاق والخداع والجبن الممزوجة
بالطيبة الساذجة .

والشاعر ممزق الخواطر ، مذهول الفؤاد ، تتقاذفه السموم التي تهب بين الجهات
الاربع ، وتقض مضجعه السكاكين الكبيرة التي يراها تمزق الجسد العربي ، وتمعن
في الظهور المكشوف طعنا ، ويبصر اوطانا في طريقها للضياع ، ويتحسس اسباب
الهزيمة التي تمر ، ويرى في الداخل والخارج ما لايراه الآخرون ... فييكي حيننا
ويثور حيننا آخر ، ويعلن حالة الصمت مرة .. وحالة التسليم مرات .. لكنه في كل
الاحوال ، يحمل قارئه على استبصار الواقع العربي بجميع ابعاده بصدق وصراحة
تصل الى حدود التجريح والفضيحة احيانا ، ويكون شعره بذلك تلخيصا لواقعنا
المعاصر وتوثيقا للحقبة المتردية التي نحياها .. وجلدا للذات العربية التي تصنع
الهزيمة .

النقد السياسي

يمثل الموضوع السياسي الركيزة الاساسية التي بنى عليها الشاعر حيدر محمود
شعره النقدي ، ولعل لطبيعة الظروف التي مرت وتمر بها امتنا العربية اثرا كبيرا في

ذلك ، فقد عانت الامة خلال هذه الفترة امورا جسيمة شكلت المعالم البارزة لواقع امتنا السياسي المعاصر .

وقد كانت فلسطين بمحاورها الرئيسية (النكبة ، النكسة ، الانتفاضة) القضية الاولى والاهم التي انطلق منها الشاعر في نقده الذاتي ، ذلك انها كانت تعيش في وجدان الشاعر قضية قومية ، واحتلالها كان مايزال يشكل وصمة عار في جبين العربية ، وهماً شخصيا يعادل لدى الشاعر ضياع الهوية ، وقد وجد الشاعر في استلهامه لهذا الموضوع متسعاً لممارسة نقده بصورة جريئة وصريحة ، وبشكل معبر ومثير ، اذ جاء نقده في هذا المجال مرتبطاً بحديثه المفصل عن الآثار السلبية لاحتلال فلسطين المتمثلة بضياع الارض وتشرذم الاطفال والشيوخ والنساء ، وتقتيل الابرياء ، وموقف الامة الشائن منها .

وغير فلسطين فقد شكلت احداث العراق القضية الثانية التي انطلق منها الشاعر في نقده الهادف ، فقد وجد الشاعر ان الحدث العراقي كان المحك الرئيس الذي كشف بعض المواقف السلبية للامة ، فاتخذ الشاعر من هذا الحدث وسيلة للتعبية والجدل ، وجاء نقده في هذا الميدان موجعا لاذعا ، رافضا لكل مواقف الذل والخنوع ، ومؤكدا اهمية التضامن العربي واسترداد الكرامة .

واما لبنان التي شكلت المحور الرئيس الثالث في دراما الحدث العربي المعاصر ، فقد لاحظت ان الشاعر لم يجعل من مأساتها ركيزة في بناء شعره النقدي ، اذ لم يتناولها اطلاقاً في شعره على الرغم من مواقفه القومية التي اشتهر بها ، وقد يكون ذلك عائداً في حدود تقديري الى قناعة الشاعر بتزامن هذا الحدث الهام مع بقية الاحداث العربية الاخرى ، وايمانه بان مايكتبه من نقد لواقع الامة وحكامها وفي اي حدث يكاد ينسحب على بقية الاحداث العربية الاخرى ، لان الشعب واحد ، والههم واحد ، والمواقف متشابهة الى حد ما ، وان كان هذا التبرير لايعفيه كشاعر قومي متميز من تناول هذه القضية الهامة .

وقد كان الحكام العرب اول من توجه اليهم بسهام نقده في هذا المجال ، فاليهم تنسب تهمة التفرقة والتجزئة ، وعليهم تقع مسؤولية الهدم ، وبث الفتن التي وقفت

ويقول في الموضوع نفسه مذكرا بالتناقضات والزيغ في مواقف الحكام العرب :

صفت حتى نوت كفاي من تعب لكل من قال (اني فارس العرب)
ويح صوتي : متافات وأدعية عساه يرجع لي يوما عظام أبي
لكنه اذ تصير النار في يده اكون اول من يلقيه في اللهب
ويصيح الحطم الوردى مشقتي وفارس الوهم جلادي ومقتصدي (١٠)

ولأنهم كذلك فالشاعر يائس تماما منهم ومن ظهور القائد المحرر من بينهم حيث يقول :

كفى انتظارا لسيف في غد يصل وراية بدم الغازي ستغتسل
وفارس سوف تأتينا به فرس حيننا .. وحيننا سيأتينا به جمل
من اربعين خريفا والعيون على كل الدروب ولأ يظهر البطل
وكيف يظهر والصحراء عاقرة من ألف عام وما في رملها رجل !!
مات النخيل الذي فيها فلا عذق وجف ماء سواقيها .. فلا بلبل
كفى انتظارا لكذابين ليس لهم قضية غير ان تبقى لهم نول (١١)

ولعل من اكثر المواطنين التي قدم فيها الشاعر نقدا قويا لاذعا للحكام العرب تلك التي تحدث فيها عن النفط وشيوخه ، اذ شغل هذا الموضوع رقعة واسعة من قصائده ، طرح من خلالها رأيه فيه بشكل صريح ومباشر ، وكشف عن الآثار السلبية التي ترتبت على سوء استخدامه واستغلاله بحيث اصبح داء لا دواء ، وصار سببا مباشرا من اسباب نكبات الامة المتلاحقة .

يقول الشاعر :

ايها النفط

ياأسود الوجه؟ والقلب

ماكنت في اي يوم لنا

فلمأذا تعاتينا

ان اقمنا عليك الغضب؟

وكرهناك

اكثر من كرهنا
لأبي لهب
أو لأم لهب ؟
من يزود قاتل أطفالنا
بالسكاكين
غيرك انت ؟
ومن يتعهده بالملايين
غيرك انت
ومن غير نارك
تشعل نيرانه

وتغذي مخالبيها بالحطب !؟ (١٢) .

ولأن صورة حكام النفط قد ظلت سلبية أيضا في نظر الشاعر وباعثة على الحقد والتشاؤم ، بعد ان جعلوا من نفطهم شوكة في حلق العالم العربي ، فإننا نجد الشاعر يعبر عن هذه الحال المؤلمة بأسلوب ساخر مكثف باسم «نفتان» حيث يقول :

لو كان عندي
بعض ما عند أخي «نفتان»
من مال وارصدة
كنت اشتريت
«الامم المتحدة»
بكل ما فيها
من الغابات والادغال

والمجاهل التي تعج بالافئال (١٣) .

ويقول في موضع آخر مهاجما الحكام ومؤكدا على سلبية نفطهم الذي ظل عدوا قاتلا للقسطينيين عدا عن كونه مهاجرا ليس لأصحابه فيه نصيب:

ولغيركم الثمرات

لغيركم النفط

والناقلات التي تحمل النفط

للمائرات التي تنسلي بلحم فلسطين (١٤)

ثم يبلغ الشاعر قمة نقده حين يعبر عن يأسه الشديد من دول النفط وحكامها ،

فيقول :

لقد أفقرت إلا من الذل أرضها فكل نبات ، يُطلع الرملُ فاسد
وكل هواء هبَّ من جنباتها مُراءٍ وفي ذراته الحقد راقد
وليس دما هذا الذي في عروقها ولانسما هذا الذي يتوالد
ولانبضها النبض الذي تستقره ولا حوضها الحوض الذي انت وارد
ولكنها هانت على النفط وانحنت لتسلم أموال لها وفوائد (١٥)

وبعد حرب الخليج ، وحين اتضحت معالم الصورة القاتمة للنفط بشكل أكثر بروزاً من أي وقت مضى ، وصار واقع الاستسلام والخيانة أمراً لا يمكن تيريره بأي حال من الأحوال ، تغير أسلوب الشاعر في طرحه ، وصار نقده عاصفاً وعنيفاً أراد منه الكشف عن مواقف الخنوع والذل التي اتصف بها شيوخ النفط ، وظلت مستترة فترة طويلة من الوقت ، بعد أن تنكروا لعروبتهم ودينهم ، وصاروا جزءاً لا يتجزأ من المخطط الاستعماري الهادف إلى تمزيق وحدة الصف في هذه الأمة وبعد أن ادمنوا الخوف والنفاق والرياء ، لذلك تجده يقول :

يذهب النفط

من بيت العربي

إلى بنك واشنطن المركزي

ويرجع أسلحة لليهود

وخوازيق من ذهب

للبييد

وأكل امرئ عند سيده

ما يزيد !

يخرج النقط

من سورة الجمل العربي

الى (شرك المنكوت)

ثم

ان عليه السكوت

ان اراد السلامة

أو

سيموت (١٦)

ويقول في موضع آخر مؤكدا على الموضوع نفسه ، راثيا لمواقف الجبن التي

اتصف بها هؤلاء الحكام بعد أن وضعوا ايديهم بأيدي اعداء الامة للقضاء على

ما تبقى في شعبنا من مظاهر النخوة والكرامة :

لاحظ شيخ الاسلام الواشنطوني

أخيرا

ان الحجر الاسود

يشتاق كثيرا لمحمد

فاستدعى خبراء الشوق

(الأمريكيين وغير الأمريكيين)

واقترحوا اغلاق الكعبة

بضع سنين !

حتى يتسنى فحص المسألة

من البعدين المتصلين :

اللغة العربية

والدين !

- من أين يجيء الشوق ؟

سأل الشيخ الواشطنوني الخبراء

فقالوا :

• من تحت الجمر ، ومن فوق !

- والجل ... ؟

• بأن لا يسمع المشتاقين

لا بالهمس ، ولا باللمس

ولا بوصول شعاع الشمس الى أعينهم

مهما كلّف ذلك من بنزين !

- ومتى نخلص من هذا الهم ؟

• لن نخلص

- كيف ؟

• لأن الدم

حين يسيل - يجر الدم

والنار إذا اندلعت تستدعي النار

- ومن يطفئها

سأل الشيخ الواشطنوني

فرد كسجنر

(إسأل بنذر ... !)

يعتدل الوالد الشاطر في قعدته

ويؤلول في وجه التفاز

قسيم بالكاز

قسما بالقاز

وبالكريسي الذهبي الهزاز

ان يهدأ بال (الأنكل سام)

حتى يتلاشى (أعداء الاسلام !)

- من يابندر

• اسأل شيخ الأزهر ...! (١٧)

ولان الشاعر يائس تماما من النفط وحكامه ، ساخط على الايدي التي عبثت به
وجعلت منه نهبا لاعداء الامة ، فاننا نجده يدعو بحرارة صادقة ، ومن اعماق وجهه
العربي ان يحترق هذا النفط لتعود الامة الى ماضيها المجيد ، ترفل بثوب عزتها
وكرامتها كما كانت :

كوني نارا

ياكثبان الملح

وياأبار النفط احترقي

وايرجع هذا «الوطن المتخم»

للتمر

بجاه عذارى الشام

وأطفال الشام

وجاه الشهداء ، بكل براري الشام

ليرجع هذا «الوطن المتخم»

للجوع ، وللعري ، وللأعشى

يستجديه تصيدة شعر

ترجع للصحراء بكارتها

وتعيد لهذا الرمل

الفارق في الذل

اللون

وذاكرة العيس

ورائحة الزعتر

والحنأ ... (١٨)

أقول :

وطني الرقيم من نقد الشاعر الدائم والشديد لجميع الحكام وفي المواقف التي
استدعت ذلك ، فقد لاحظت ان الشاعر ظل دائم الاشادة والمدح لشخصية الملك
الحسين ومواقفه الشجاعة ، وبخاصة مايتعلق منها بمحاولة رأب الصدع العربي
وجمع شمل الامة .

يقول في امتداح شخصية الحسين والتقني بمكانته في ذكرى تعريب قيادة
الجيش العربي الاردني داعيا لتأكيد فكرة التعريب الاعم والأشمل :

معرّب الجيش .. يارمحا يعانقه رمح .. وباسيدا من سادة تُجِب
اليك تنتسب الرايات : خافقة ياخير منتسب يرجى لمنتسب
وهل يساوم من كانت رسالته رسالة الثورة المشبوبة اللهب
معرّب الجيش هلا ثرت ثانية حتى تعرّب فينا أمة العرب ؟ (١٩)

ويقول في الفخر بدعوات الحسين المتكررة لجمع الشمل العربي واحتضان عمان
للقات الوحدة العربية والتي كان أولها لقاء دول مجلس التعاون العربي :

ياحاملين الى عمان اغنية كانت مدى العمر .. من أجلي اغانيها
اهلا بكم في كروم الوعد حاضرها وفي حقول الندى والسعد ماضيها
اهلا بكم في روايبها التي جمعت شمل العروبة منذ كانت روايبها
من مشرق اللغة الفصحى لمغربها ومن حواضرها .. حتى بواديهها
عشنا هنا كننا اهلا يظللنا سقف المحبة في أسمى معانيها
لافرق بين بنيتها .. لاحواجز ما بين الرعيّة او ما بين راعيها
عشنا هنا الوحدة الاولى وفرحتها فهل كثير علينا ان نشئها (٢٠) .

وغير الحسين فقد كان القائد صدام حسين موضع ثقة الشاعر وفخره ، وبخاصة
بعد مواقفه الاثيرة التي كشف فيها عن صدق عرويته وانتمائته ، في وقت نحن احوج
مانكون فيه الى الصدق والوفاء :

صدام يابطلا منا ، أعاد الى عروق اوجهنا الماء الذي نضبا
في كفه من صلاح الدين سيف فدى وفي الشرايين من حطيين شهر إبا

وأمسك خطاك فيما ان يكون لنا
 ولا تبال بقرب شمسك فريقت
 فأنت تبدأ يا صدام مرحلة
 أخرى ستبعثنا من موتنا عربيا (٢١) .

أما الشعوب العربية فقد كان للشاعر وقفة خاصة في محاسبتها ، والكشف عن
 عيوبها ، إذ كان يدرك تماما أنها كانت تشكل جزءا كبيرا من الأمة العربية نتيجة
 لجهلها وغفلتها وضياع كلمتها وسما. دوامة المصالح العربية الخاصة .

وقد حاول الشاعر تقريعبها وتربيعها وإظهارها بمظهر الطفل الساذج في محاولة
 منه لايقاظها من سباتها العميق ليكون لها الدور الريادي في اتخاذ القرار العربي .

وهو إذ يسلط سيفه عليها بشكل مباشر إنما يقصد من وراء ذلك تحقيق اللصاحة
 العامة وليس السخرية كما يعتقد بعضهم .

ولعل سير الشعوب وراء الاوهام والخزعات والأحلام السياسية وتصديقها
 الوعود الكاذبة بشتى اشكالها ، من أبرز الموضوعات التي ركز عليها الشاعر وحاول
 الكشف عنها في محاولة منه للتنبيه الى خطورتها والاقلاع عنها .

يقول في ذلك :

لهتنا وراء السراب
 قعدنا بظل خيالاتنا
 عصينا جراحاتنا بالسراب
 سكبتنا على النار زيتا ، ونارا
 ونمنا على وخذ أناتنا
 على سرر من عذاب
 مشينا مع الظل
 ظل خيالاتنا الباهتات
 الى حيث تذهب نذهب
 تنبها بالخطى المتعبات
 نلاحقها وهي تهرب

عبر المحيطات

عبر الصحاري

وفي القلوات (٢٢) .

ويقول أيضا مشيرا الى سداجة الشعوب المتمثلة بقبولها الواقع السياسي الذي
يمثلُ عليها بالخداع تارة .. وتهذبة الخواطر تارة أخرى :

ونحن على سطوح الحلم

كنا نشهد الفصل الكوميديا

يدغدغنا

فنفرح مثلما الظمآن

إن يبصر .. سراجا

ظنه ماء حقيقيا (٢٣) .

ولايفوت الشاعر أيضا في نقده للشعوب ان يبين ان احد اسباب الهزيمة هو
الخوف الذي ظل يسكن الاعماق العربية من قوة العدو وقدراته والرعب الذي يستوطن
الاهداق من الدخلاء ، وعدم جرأة الجماهير على البوح والثورة ، فالعدو محتل للأقنعة
والنفوس قبل ان يكون محتلا للبلاد والاطمان ، واسطورة القوة الامريكية مازالت
تدفع بهذه الشعوب لتمجيد امريكا وامتهان ذاتها على ابوابها .

يقول في ذلك :

نامي على جمر الفرام

ياأمة العرب الكرام

تحميك «امريكا الرفيعة»

من إصابات الزكام

وترد عنك العين

في مسحو الحياة

وفي المنام (٢٤)

ويقول أيضا :

أواه لو يغضب واحد

من الجمهور

لويثور

لو ... واحد ...

لو نصف واحد ... يثور (٢٥)

من يملك سيفاً ، لا يستعمله للزينة ؟

من يملك كفاً ، لا يسكنها الخوف (٢٦)

يا من يقول : لا

كبيرة ... بحجم شاتيللا (٢٧)

والنفس العربية على ما اعتراما من خوف وخالطها من احباط وقهر واحق بها من
هزائم داخلية وخارجية طيبة القلب ، وطيبتها تذبجها وتسلمها يوما للسكاكين الكبيرة
التي تتربص لها :

قتلتنا طيبتنا

والطيبة ضعف

إن لم يحرسها السيف

قتلتنا طيبتنا

فمضى نتخلص من هذا المرض

الملعون (٢٨)

بل هي طيبة تصل حد السذاجة وعدم التمييز :

ونحن يا الله

كم نحن مؤدبون

ونحن يا الله

كم نحن مع الاعداء

طيبون

حتى حدود الذبح .. طيبون

حتى حدود الصلح .. طيبون (٢٩)

لذلك ينفي الشاعر الطيبة التي صارت في عرقه قيمة سالبة لانها ضعف ان كانت
بمعرض عن السيف ، ينفىها عن الارض حين تنور وتسحق اعداءها .
يقول مخاطبا الارض :

واخلي عنك ثوب الحياء

لست طيبة القلب (٣٠)

وانتظار المهدي المخلص والمنقذ الذي سيغير وجه العالم ، ويحيل الهزيمة انتصارا
ويغسل الرايات بدم الغزاة موقف عربي مقيت يثبط الهمم والعزائم ويبعث على
الازدراء والاستهجان ، لذلك فقد اكد الشاعر على عدم جدوى هذا الانتظار في
مواقع عديدة :

تقتلني ثقافة الجمهور

يقتلني انتظاره الطويل

للأشياء (٣١)

وراية بدم الفارسي ستقتسل (٣٢)

كفى انتظارا لسيف في غد يصل

مائل انتظار الجاهلية

المهدي (٣٣)

ليكن

هذا المهدي المنتظر

الطعنة في حلق العالم (٣٤)

وثمة موقف آخر كان موضع اهتمام الشاعر ومحط نقده ، وهو البعد عن الاسلام
في جانبه العملي والانتساب اليه بالهوية فقط ، والذي شكّل في رأي الشاعر سببا
رئيسيا من أسباب نكبات الامة وويلاتها إذ يقول :

مسلمون نعم
في شهادات ميلادكم

قاعدون على

صدر أمجادكم

معجبون بوفرة أموالكم (٢٥)

ولعل إثارة الشاعر لهذا الموضوع غالبا ماكانت ترتبط بحديثه عن ضياع
الاقصى ومسؤولية الامة عن ذلك ، لاسيما وأن اشراقة التاريخ الفلسطيني ترتبط في
وجدانه دائما بذكرى صلاح الدين المسلم المجاهد والفتوحات الاسلامية العظيمة ،
يقول في ذلك :

ولكنها لما تخَلَّت عن الهدى تخلى الهدى عنها ، فضل صوابها

وضيقت الاقصى وعين العدى على سواء فهلا أيقظتها حرابها ؟!

ويقول في التأكيد على الموضوع نفسه شاكيا كثرة العدد وقلة الفعل من خلال

رسالة اعتذار الى الاقصى :

لاتصدقنا

إذا قلنا : سنأتيك لنفديك

فلن يأتي ... أحد

وإذا امتدت يد الهدم

فلن تمتد كي تبنيك

من هذي الملايين

التي تهدر

يد

لايغرنك العدد

فهو (يا أقصى)

غناء كغناء السيل

لا وزن له

وهوزب (٢٧)

ولأن الواقع كذلك فالشاعر يصرّ على توبيخ الشعوب وتذكيرها بمؤايدتها عن ضياع أعزّ المقدسات مؤكداً أن الأمر لن يمر دون حساب :

أيها المسلمون

اتقوا يوم يسألكم

عن أعزّ مدائنهم

وأعزّ مآذنهم

كيف اسقطتموها بأيدي الغزاة (٣٨) .

وغير ذلك يعيب الشاعر على الأمة موت الاحساس النبيل والشعور الصادق فيها بعد أن استشرى فيها مرض الحقد والنفاق ، فصارت غير قادرة على متابعة المسير في الطريق العربي الصحيح .

ولعلّ ملامح هذا الموت البيئي للشعور العربي قد بدت واضحة في رأي الشاعر من خلال المعاملة السلبيّة القاسية التي انتهجها بعض الإخوة العرب تجاه الشعب الفلسطيني خلال مراحل التآزم والمعاناة التي تعرض لها عبر تاريخه النضالي الطويل ، والتي وصلت إلى حدّ التنكر له ، لا بل إلى حدّ الطعن من الخلف أحياناً .

يقول الشاعر في وصف ذلك :

ماعدت أفهم شيئاً غير أن دمي هو المطارد في الدنيا .. بلا سبب
فإن نجا من سكاكين العدى .. برزت له من الأهل آلاف من القضب
وعسكرت كالدمى حولي تراودني عني وتلتف أكواما من الحطب
تريد حرق بقايا النبض في رثتي وخنق آخر رفض ظلّ في عصبي (٣٩)

ويقول في موقع آخر في التعبير عن الموقف نفسه :

صديقتي

لقد تعبت من تنقلي بين فجاج الأرض

قطعتها : واحدة في اثر واحدة

فلم ألقِ واحة ..

تحمي دمي .. من العيون الحاقدة

كلّ العيون يا صديقتي

ترمقني بالرفض

عد يا غريب (٤٠)

ويقول أيضاً :

تأمّرت الدنيا عليك فما لها سواك عدو تفتقي وتطارد

وقالوا غريب في المكان وطارئ وقالوا غريب في الزمان وزائد (٤١)

ثم يؤكد على أنّ حدود التنكر العربي لم تكن لتقف عند الشعب الفلسطيني فقط بل امتدت لتشمل العراقيين أيضاً على الرغم من كل المواقف القومية التي سجلها العراقيون للأمة . يقول الشاعر مخاطباً الشعب العراقي معتذراً عن مواقف التنكر العربي الشائنة لهم :

أيها الطيبون في زمن اللؤم الوفيون والجميع جحود

والمضحون بالنفوس وبعض الأهل حتى بدمعة لايجود (٤٢)

ولا ينسى الشاعر في نقده للشعب العربي أن يخص الذات الفلسطينية بنصيب من الاتهام وحمل المسؤولية فيما وقع لفلسطين ، فبين ظهرائهم وقع الانتقام وضيع السماسرة بلادهم ، مما عمق المساة وباعد بين الآمال بعودة فلسطين وتحققها :

فليتقاسم وحل الأرض

سماسرة الأرض

ووسخ العمر

سماسرة الأشياء (٤٣)

وعلى ترابها ظهر التقاعس عن الجهاد والدفاع فتكفلت بذلك الصبايا والصبية

الصغار :

يكفي فلسطين

ملاقته من دجل

وما تلاقيه

فليصدق .. ولو رجل !

وايتق الله ، فيها أهلها

فلقد

تكفلت بالأعادي

الأعين النجل

أما رأيتم صباياها ، وصبيتها

كأنهم من سماوات العلى

نزلا (٤٤)

ويبين أهلها ظهر التنكر للأرض والتربة ، فيسر أمر احتلالها على الأعداء :

إن تمرع حقول القمح

وهي فسيحة رحبه

وكل بيادر الزيتون

لم تطلع ولا حبه

لانا .. حين كنا نزرع الزيتون

كنا .. نجهل التربه (٤٥)

النقد الاجتماعي

لم يقف الشاعر حيدر محمود في نقده الذاتي عند حدود القضايا السياسية فقط، بل شارك مشاركة فعالة في نقل وتصوير هموم ومشاكل المجتمع ، من خلال تجربة مريرة ومعاناة عاشها بكل أبعادها ، وحاول نقلها بصدق وأمانة ليسهم من خلال طرحها في الكشف عن الكثير من الأمراض الاجتماعية التي كانت ومازالت تعترى المجتمع العربي ، وتقلقه ، وليؤدي رسالته النبيلة في التنبيه على هذه العيوب ووضع العلاج المناسب لها .

لقد عاش الشاعر الواقع الاجتماعي العربي ، وخبر طبيعة الحياة الاجتماعية فيه، فعبّر عنه خير تعبير ، إذ بدت في شعره نزعة شعبية تدل على معانيته لوجدان الشعب وقربه من روح الطبقات العامة ، وهو إلى جانب هذه الخبرة راقب عن كثب

مجريات الحياة الاجتماعية بشكل دقيق ، فتألم لما يصدر عن بعض أفراد هذا المجتمع من مواقف وسلوكيات لاتتبي عن وطنية صادقة أو انتماء حقيقي ، وساءه بعض مايعتري المجتمع من نفاق وخداع .. وبالطبع مامن مجتمع الأوتعتريه شوائب وتشوهات اجتماعية بحكم طبيعة الانسان الذي يخطئ ويصيب وييني ويهدم ويصدق ويخون ، وقد رأى حيدر محمود أن يسجل بعض هذه التشوهات .. لا من أجل السخرية والتشفي بواقع هذا المجتمع ، ولكن لأنه شاعر مرت به هذه التجارب المؤلمة فمست ذاته وروحه وتركت جراحات كبيرة في نفسه ، ولأنه حريص على هذا المجتمع وعلى الخروج به من هذا المأزق الخطير .

ولعل من أجمل ماطرزه الشاعر حيدر محمود في هذا الموضوع تلك القصيدة التي كتبها يخاطب فيها ولده محدثا إياه عن هذا الزمن الصلوك الذي اختلط فيه الحابل بالنابل والطالع بالنازل ، والذي صارت فيه المحسوبة والنفاق سمة عامة للجميع حيث يقول :

ياولدي

واركب كل الموج

فإن لم تقدر

مارس طقس الإسفنج

يعب مياه البحر

ولايشربها

ويدل الحيتان

على الحيتان

ولايقربها

واصطد مع كل الصيادين

ولكن

حاذر أن يصطانوك (٤٦)

فهو في هذه القصيدة ينعي على المجتمع أن يعيش فيه الفرد . نتقدا لواحدة من أهم مقومات الحياة السوية ، الأمن والطمأنينة ، خائفا من كلمة الحق ، مرتديا غير وجهه ، يظهر خلاف ما يبطن .

ولا تدل التشاؤمية في هذه القصيدة على خلق أصيل في الشاعر ، وإنما هي خاطر مر كقيمة صيف في لحظة اشتدت فيها على الشاعر أزمة شعورية كان فيها غير مالك لأمر نفسه ، وإنما امتلكته ظروف المجتمع المتصعك :

فلماذا تسأل :

كيف انفجر أبوك ؟

ومضى

لا يملك شيئاً

ماذا

يمكن

أن يملك

يا ولدي

عبد

مملوك (٤٧)

ولا أدل على أن معاني هذه القصيدة ليست قناعات وفلسفات ثابتة في وجدانه من اختفاء هذه الروح في معظم قصائده .

وام يتوقف الشاعر في حديثه عن تفشي مثل هذه العيوب الاجتماعية عند هذه القصيدة فقط ، بل تناول هذا الموضوع في موقع آخر ، وذلك حين وظف القصيدة التي كتبها في رثاء (عبد موسى) للكشف عن واقع اجتماعي مؤلم تعيشه الأمة ، الواقع الذي يعظم الغنى لغناه والمسؤول لمركزه فيدهن ويجامل وينافق متملقا الشخصيات الكبيرة ... ويسير في مواكبها بينما تسقط الأرقام الصغيرة بون أن يشعر بها أحد .

يقول :

لو أنَّ واحداً من الحيتان مات
حدت الحيتان كلها ، عليه
وسار من وراء نعشه
المنافقون
يوسوا خديه
وحنطوا في متحف الرضى
قميصه
وحنطوا نعليه (٤٨)

ويظهر الحديث عن هذا الموضوع جليا أيضاً في قصيدته التي شكا فيها تغير
القيم ، وانتشار الزيف والأقنعة المستعارة التي توري الوجه الحقيقية لأصحابها
حيث يصرخ قائلاً :

أحاول الفهم
هذا السوق أتعبني
وحيرتني اضطرابات الموازين !
هل صاحبي صاحبي ؟
(من ذا يجاوبني)
وهل عدوي عدوي ؟ !
(من سيفتني) (٤٩)

وقد عمد الشاعر ومن أجل التأكيد على خطورة هذا الموضوع إلى الربط بين
قضية الضياع السياسي العربي والفساد الاجتماعي ، حيث يقر بأن النفاق
الاجتماعي كان وما زال سبباً رئيساً من أسباب نكبات الأمة . يقول في تفسير واقع
هذه النكبات :

لأننا (حين كنا نقرأ القرآن)
نقرأه بغير وضوء

ونهدى العالمين
الى طريق الخير
فرسل ألف موعظة

ونحن نخوض بحر السوء (٥٠)

والشاعر ازاء ذلك كله ، يرى وبطريقة ساخرة أن لا خلاص من هذا الواقع المؤلم
سوى القبول بكل سلبيات هذا المجتمع ، والسكوت على كل مايجري فيه من مفارقات
عجيبة :

أغمض عينيك
إذا ما هربت أمك يوماً
من حضن أبيك
أو جدك راح يغازل زوج أخيك
لاتقلق .. لو وضعوا في السجن
السجان
وإذا يوماً
أحيت ليلة عرس
جوقة غريان
هذا زمن يهرب فيه القطأ
من الفئران
أغلق أبواب البيت عليك
ولاتحملهما أبدا
عن إنسان (٥١)

وغير الحديث عن هذا المحور الاجتماعي الهام ، نجد أن الحديث عن الفقر قد
شكل بعدا أساسيا وهاما في نقد الشاعر الاجتماعي ، إذ اهتم حيدر محمود
ب طرح هذا الموضوع ليغطي من خلاله همأ اجتماعياً قومياً ظلت ملامحه بارزة في
هذا المجتمع من خلال معاناة الشعب الطيب المغلوب على أمره ، وضياح التكافل

الاجتماعي في لجة النقابات الطبقية .

وقد رأى الشاعر أن يطرح هذه المشكلة على أنها مشكلة وطن بأسره ، وايست
مشكلة أفراد ، لذا فقد ظلّ يردد في شعره :

يا وطني ...

يا وطن الفقراء (٥٢)

ويردد أيضاً :

وستعرف أن العتمة

مهما طالت

لا يمكن أن تلغي قمر الفقراء

ولا يمكن أن تطفى

شمس المحرومين (٥٣)

ولعلّ من أبرز القصائد التي أفردها الشاعر للحديث عن هذا الموضوع قصيدته
"معزوفة المواطن رقم صفر" التي عالج فيها قضية الفقر والعازة وانخفاض المستوى
المعيشي لدى الطبقات محدودة الدخل .. وانحراف بعض افرادها بوزاع من الحاجة.
ولا يخفى ما يحمله عنوان القصيدة من ايحاءات بأوضاع طبقة الموظفين في
المجتمع ، إنهم الطبقة رقم صفر ، لا تكفي مرتباتهم لتغطية تكاليف المعيشة ، وهم
فوق ذلك طبقة غير منتجة .

وقد اختار الشاعر بطل هذه القصيدة قاطع طريق ، اضطرت الأتواء العشرة
التي يعولها أن يمتن قطع الطرق ليكسب عيشه ، بعد أن قصرت الوظيفة عن سد
حاجاته :

صرح قاطع الطريق

كنت أصلي الصبح

حين اقتادني الشرطي للتحقيق

وكنت مرة ... موظفا

كسائر الموظفين

ينام في مكتبه
ويشتم المواطنين
وحين أصبح المدير صاحبي
راودني عن رأيتي !!
وقبل أن أصبح تافها
(يقول الطائر المذبوح)
كنت رهيف الروح (٥٤)

ومن أجل الإثارة فقد أجا الشاعر الى التعبير عن هذه الطبقة الكبيرة التي ينتظر
أفرادها أن تتحقق آمالهم على جسر الأحلام بالأرقام ، فهم أوراق تقويم تتساقط
كل يوم دون أن يلتفت أحد الى واقعها المرير :

رقم آخر
يسقط من تقويم الأيام
رقم آخر
والمنتظرون على
جسر الأحلام
يجترون حروف "عمل"
ومن "ياليت"
يقيمون بيوتنا (٥٥)

وقد شككت ظاهرة الفقر في شعر حيدر محمود ثنائية ضدية مع ظاهرة الغنى
الفاحش والتخمة المادية في نول الأبخ (نفلان) كما سماها الشاعر ، حيث يقول في
إبراز صورة الفقر :

الليلة
أجمع في شرقه حزني
كلّ الفقراء
لاحدثهم عن حورية بحر

كانت في كل مساء

تأتي بسائل الخبز (٥٦)

ثم يقول في الطرف الآخر مبرزاً صورة الفنى المستوحاة من واقع دول الخليج :

وتمطر أيامكم ذهباً

تشترون به لعباً

تفتحون لها علياً

للهوى ...

والغوى (٥٧)

وغير الفقر والعازة يطرح الشاعر قضية أخرى على درجة كبيرة من الأهمية ، وهي الاهتمام العربي اللامعقول بحتمية الإنجاب وتعدد النسل وسط دوامة الضياع العربي يشقى أشكاله ، وأعلّ تناول الشاعر لهذا الموضوع غالباً ما كان يأتي مرتبطاً بحديثه عن مشكلة اجتماعية أخرى هي مشكلة الفراغ العربي بمختلف أشكاله ، حيث يقول في نقد هذا الواقع المؤلم :

هواية الرجال

التردد والترجيلة

(كماترى)

وقصص البطولة

وإذ تقيب الشمس

يهجم الشبق

يدب لي أوصالهم كالنار

كالفضيب المنار

كالتيار

يحرق الأعصاب

موجه المولود المصعّب

ويصن نملفى حرارة القلق

وموجة الأرق

ويفرغون في البطون

معاشوه من فراغ

يفغون حتى مطلع النهار

وهكذا فان كثرة الفراغ

تنجب الأطفال !! (٥٨)

ثم يجعل الشاعر من موضوع زيادة الإنجاب همّاً اجتماعياً سلبياً حين يربط بينه وبين الواقع السياسي العربي ، ويجعل منه عاملاً رئيساً في الضياع والتفكك :

ومن عجب أننا

والسكين على العنق

نمارس فعل الإنجاب

كأن فحولتنا العربية

موضع شك

من قبل الإمبريالية

والصهيونية

وبقية ما في هذا العالم

من أعداء (٥٩)

والشاعر وهو يقف على هذا الموضوع وقفة جريئة ، إنما يطرح معه موضوعاً آخر ذا علاقة وثيقة به وعلى درجة عالية من الأهمية وهو غياب الوعي التربوي الأصيل عن المجتمع العربي ، فهو يعيب على الأمة أسلوبها المتردي في التعامل مع النشء المقتد للروح الوطنية القائم على احترام كل ما هو أجنبي ، والذي برز واضحاً في مجتمعاتنا من خلال هذا الكم الهائل من المربيات الاجنبيات (السريلانكيات) والذي بات مظهراً من مظاهر المفاخرة والرياء في عصر نحن أحوج مانكون فيه إلى محاسبة الذات وتقدير قيمة الصدق والوفاء والانتماء :

لكن

خلّونا ننجب أطفالا

يستعصون على الذبح

فلا نسقيهم (مثلا)

لبن السريلانكيات

ولانطمعهم خبز القمح الأمريكي

ولانلبسهم

الإماتسجه

الأنوال الوطنية

مهما كان رديناً (٦٠)

بقي أن أشير ، وضمن حديثي عن الاتجاه الاجتماعي في شعر حيدر محمود ، إلى أن قصيدة (نشيد الصعاليك) التي ألقاها الشاعر في ذكرى وفاة الشاعر (مصطفى وهبي التل) تشكل تصعيدا حادا في مضمار النقد الذاتي في شعر حيدر محمود ، وتعد ثورة نفسية في شعره لا عهد للقارئ بمثها .

لقد جاءت هذه القصيدة ثورة عاتية على الأوضاع الداخلية المتردية من جراء خيانة بعض أفراد المجتمع ، لايجرؤ عليها إلا صلوك ثائر مجازف يمتطي كلماته الجامحة ، ويستل سيف الجراءة ، ويشهره في وجه القبيلة حين تطغى وتاكل خبز الفقراء .

لقد قالها الشاعر فاضحا الفئحة التي أكلت أموال الشعب ولم تحفظ الأمانة ، فكانت كما وصفها الشاعر حفنة من "عكاريت وزعران" تحكمت في أرزاق الناس واختلست أموالهم ، فلم يقف في وجههم أحد ، ولم يردعهم شيء فمالت الحال وساعت الأحوال .

وقد شكلت هذه القصيدة ثورة في عالم حيدر النقدي لأن الشاعر قد كرّس جميع طاقاته الشعرية وأساليبه التعبيرية لخدمة هذه الثورة ، ولاسيما أخطر أساليبه وأقواها تأثيراً وتعبيراً ذاك الذي يستمد تعبيراته وتراكيبه من لغة الشعب ومصطلحاته

العامية.

يقول ملتصقا بالأعداء للشعب السكران من جراء ما نزل به من تسلط الفئدة الخائنة:

فلاتم شعبيك المقهور إن وقعت عيناك فيه على مليون سكران
قد حكموا فيه أفاقين ماوقفوا يوما بإربند أو طافوا بشيخان
ولا بوادي الشتا ناموا ولا شربوا من ماء راحوب أو هاموا بشيخان (٦١)
وهو يغرق في العامية حين تشتد به الثورة .. ولاعجب فهي باسم الشعب الذي
لايحفظ ينتميق الكلمات حين يسرق منه الرغيف واقمة العيش :

للمعنا فيسه تشليها ويهدلة ولم يقل أحد كاني ولا ماني (٦٢)

وتتلبه لغة الشعب في موقف آخر فيقول :

ياشاعر الشعب صار الشعب مزرعة لحقنة من عكاريست وزعران
لايخجلون وقد باعوا شواربنا من أن يبيعوا اللحي في أي مكان (٦٣)
ثم يشير الى الأمراض التي نشتت في جسم الدولة ، فالذمم تباع وتشترى بالمال،
والأمور تتحرك وفق المحسوبية والرشاوي :

وأنتي ، ثم لا ظهر فيفضب لي وأنسي ثم لأصدر فيلقاني

ولا ملايين عندي كي تخلصني من المناب ولم أدم بنسوان (٦٤)

بل إن ذات الشعب في رأي الشاعر قد شاركت في نسج خيوط المؤامرة وحياتها
حين صمت الناس ازاء ما يحدث ولم يحركوا ساكنا :

ومن يقول ؟ وكل الناطقين مضوا ولم يعد في بلادي غير خرسان (٦٥)

وحين غادرهم الصدق والوفاء وحل مكانه الطمع المادي :

وترجع الناس ناسا يذهبون معا إلى نفوسهم من دون أضعفان

فلا دكاكين تلهيهم بضاعتها ولا دواوين تنسي الواحد الثاني (٦٦)

وقد عاد الشاعر عام ١٩٩٠ للتعقيب على " نشيد الصعاليك " بقصيدة بثها
ارتياحه بعد استتباب الأمن ، وانزياح الغمة ، ومحاسبة الجناة على ما اقترفوه في
حق الوطن حيث يقول في مطلعها :

سحابة الأرق المجنون والنكد
وعادت الروح بعد الموت للجسد

الحمد لله زالت عنك يابودي
وعاد القلب نبض القلب ثانية

ثم يستكمل قائلا :

بمنته عتمة .. أو مرّ في أيد
سود ... وأكبادهم سود ... من العقد
رقابهم ، حبلهم : حبلين من مسد
حتى تقاطعهم ... والد .. بمد لم تك
نارا على كلّ بواق ... وكلّ ردي ! (١٧)

وكان ليل الأسي ليلين ما حملت
تناسلوا فيه مثل النمل : أوجههم
وأمعنوا في الحمى بطشا ... فردّ إلى
وطاردتهم قوافينا التي ولدت
وسوف تبقى ، على عهد القريض بنا

ويعد ،

فيمكننا أن نوجز أبرز الملاحظات المتعلقة بالنقد الذاتي في شعر حيدر محمود

في النقاط التالية :

١- امتك الشاعر في نقده سلاح الجراءة والصراحة في التعبير عن رأيه ، وبخاصة
في المواقف المتعلقة بنقد الحكام ، لذا فقد جاء نقده قويا ومؤثرا تمكن من خلاله
من اختراق مواقف الجبن والجمالة والانصياع التي تمثلها كثير من الأدباء
الماضيين ممن ظلوا يعيشون خلف الأحداث ، غايتهم أرضاء الآخرين ، دون
أن يدركوا معنى وقيمة الالتزام في الشعر والنور الريادي للشاعر في البناء
والاعداد للمستقبل .

٢- ظلّ الاتجاه القومي الطابع المميز للشاعر في طرحه لكثير من قضايا النقدية
وطرحه للحلول المناسبة تجاه الواقع المساوي الذي تعيشه الأمة ، وليس أدل على
ذلك من تركيزه في معظم قصائده على الحديث عن الوحدة وطرق الوصول إليها ،
ثم دعوته المتكررة لظهور القائد العربي المنقذ واختياره لأبطال قصائده من صلب
التاريخ العربي المجيد .

يقول في هذا الاتجاه :

فعمسى أن يتأبط

ولد عربي .. ما

في بلد عربي .. ما

في زمن عربي .. ما

شراً

ويغير وجه الصحراء (٦٨)

ويقول أيضاً :

مرحى لوحدتنا الكبرى ... وأ ... وبها وبارك الله مسعى من سيحييها (٦٩)

ويقول :

لقد عابوا

فهل ستعود يوماً ما

إلينا جنوة الثورة ؟

ونرجع أمة حرة ..

موحدة .. الخلى .. والعزم

والفكرة

موحدة .. ولو مرة

مصممة .. ولو مرة (٧٠)

على أن هذا لا يعني أن الاتجاه الديني قد غاب تماماً عن الشاعر في طرحه لمثل هذه الموضوعات ، فقد لاحظت أن هناك اهتماماً بهذا الجانب وبخاصة في المواقع التي كثر فيها حديث الشاعر عن احتلال المقدسات الاسلامية .

٣- على الرغم من أن موضوعات النقد الذاتي تحمل في كثير من الأحيان صفات الحدة والصخب في طرحها ، إلا أن النقد عند حيدر محمود لم يكن نقداً حماسياً انفعالياً هادراً ، بل جاء نقداً ملتزماً منطماً مدروساً ، تميّز الشاعر من خلاله بالهدوء في تحديده للسلبيات وتصوره للإيجابيات .

٤- كان للمعاناة والتجربة أثر واضح في نجاح الشاعر وقدرته الفائقة على تبليغ رسالته بالشكل المناسب ، فهو ابن القضية ، عاش المأساة وجربها ، ومن ثم فقد نقلها بصدق وأمانة محققاً بذلك الصدق الموضوعي والفني في هذه الرسالة ،

وايس أدل على ذلك من القصائد التي كتبها الشاعر في الإشارة لواقع التشرد الفلسطيني وموقف العرب منه .

٥- لم يكن النقد الذاتي في شعر حيدر محمود أسلوباً مفتعلاً مال إليه لملء مساحات نوايينه الشعرية ، ومن أجل التشهير بواقع هذه الأمة والاساءة اليها ، ولم يكن أيضاً موضوع مناسبات مصطنعة يتناوله بين حين وآخر ، بل جاء رسالة نبيلة هادفة ، وهماً انسانيًا شريفاً ، أراد من خلاله الشاعر التنبيه لواقع مرير تعيشه الأمة ، والكشف عن الكثير من المسببات لهذا الواقع المؤلم ومن ثم الأعداد لتغيير هذا الواقع وتجاوز المرحلة الصعبة في تاريخ هذه الأمة .

٦- ظلّ أسلوب السخرية طابعاً مميزاً للشاعر في نقده الذاتي الايجابي ، ولعلّ استخدامه لمثل هذا الأسلوب لم يكن بدافع من التشفي بواقع هذه الأمة ، وتمني المزيد من الويلات لها ، وانما لجأ اليه الشاعر كأسلوب ناجح في تنبيه الشعوب واثارتها ، وتبصيرها بالواقع المؤلم الذي تعيشه ، ومن ثم تحريكها في الاتجاه الصحيح .

يقول الشاعر في هذا الاتجاه :

لايصبح الدم ماء

عند أمتنا

إلا اذا عاث بالأصابع

صهيوني (٧١)

هل نتوحد موتى

من بعد تفرقنا احياء (٧٢)

سيقام (الليلة) حفل ساهر

وسيعطى الريح

لأبناء الشهداء

قل يا الله

إذا غنّت فاجرة .. لفلسطين

أو هتفت : فليحي الثوار (٧٣)

٧- امتك الشاعر في نقده رؤية مستقبلية واضحة ، عبّر عنها في ما نظم قصائده
خير تعبير ، فهو لم يقف خلف الأحداث يلاحقها ويسجلها كما وقتت ، بل كان
يستشرف المستقبل ، وينبه للاخطار المحدقة بالامة ، ولخططات العدو الرامية
إلى القضاء على ما تبقى لهذه الامة من عزّة وكرامة ، وهذه الميزة في شعر حيدر
محمود قلما نجدها عند غيره من الشعراء الأردنيين .
يقول الشاعر :

خوفي
ليس على أوطان ضاغت
لكنّ الخوف
على وطن آخر
سوف يضيع
وشعب عربي آخر
سوف يبيع
الملكة
والكولا
ومجلات العرب
الصادرة بأوربا (٧٤)
كلّ يوم يضيع
من المسلمين وطن
كلّ يوم
تضيّق المسافة
بين المحيط وبين المحيط (٧٥)
وضيّعت الأقصى ..
وعين العدى
على سواه
فهاد أيقظتها حرابها (٧٦)

٨- على الرغم من احساس الشاعر الدائم بالآلم والحزن على واقع هذه الأمة حكاماً وشعوباً ، وعلى الرغم من شعوره باليأس العميق ازاء مايجري على الساحة العربية ، إلا أن الشاعر ظلّ متفائلاً في مواقع كثيرة من شعره ، ولعلّ بروز الأمل في شعر حيدر محمود لم يكن أسلوبياً مصطنعاً مختلفاً يريد من خلاله الشاعر تهدئة الخواطر ، بل كان أسلوبياً مطبوعاً مرده علم الشاعر بالجانب المضيء من تاريخ هذه الأمة ، وإدراكه لأهمية هذا الجانب في شحذ الهمم ورفع المعنويات ، يقول في هذا الاتجاه :

ياأمريكا

بال الجمل العربي طويل

وهو بطيء الخطوة

لكن الصحراء ... له

ومحال أن يسبقه فيها

مهما استعجل

أي تخيل (٧٧)

أن ينحنني لذراكم الجبل

ياجذب ماء سوف ينهمل

ستجيء .. مهما عاند الأجل (٧٨)

ياصاعدين إلى الذرى قدس

قولوا لهذا الجذب : إن لنا

ولنا بظهر الغيب .. أغنية

إني لأعلن

أنّ الريح قادمة

فمرحباً بك ياريح الفلسطيني (٧٩)

٩- إننا حيدر محمود في معظم قصائده النقدية لاسلوب المقابلة ما بين ماضي الأمة وحاضرها ، لتعميق احساس القارئ باليون الشاسع بين ماكانت عليه هذه الأمة وبين ما صارت إليه الآن من ضعف وفرقة واستذلال . فحين يعرض لتصوير واقع الأمة في زمن الذل والضعف ، تتلاحق في وجدانه صور من الماضي المشرق

فيعرضها مما يزيد في حدة الصورة الحاضرة .
يقول الشاعر في هذا الموقف :

ونحن (بني الاسلام)

أشلاء أمة

تداس بأقدام الفزاة

رقابها (٨٠)

وقد كان فصل القول

حدّ حسامها

وقد كان .. نبراس الليالي

شهابها

... وقد كان

(ياماكان!)

سعف نخيلها

هو السعف

والظلّ الظليل إهابها (٨١)

(وكان) هي أداة الشاعر التي ينزلق من خلالها إلى العصور الماضية ، عصور العزّ والحضارة ، ولأنه يحملها طاقات شعورية محمّلة بالحسرة والأسى ، فانه يؤكد عليها ويعززها بلفظ مفارقة ، لغة العامة حين يقول (ياماكان) فتشعر بأنها تنبعث من أزمان سحيقة بعيدة عن يومنا الحاضر .

يقول :

وكان أيوب (ياماكان)

أغنية

على شفاه الحيارى

والمساكين (٨٢)

وقد كان

ياما كان

سعت نخيلها

يُخَلَّلُ

وسيف لا يُقَلُّ (٨٣)

كنا .. من حول رسول الله

سيوفنا لاتخشى إلا الله (٨٤)

وهو غالبا ما يستدعي من القديم أنواته التي ارتبطت بذكرى البطولة والمجد
كالسيف والعباءة والخيل واللغة الفصحى :
يقول الشاعر :

والمجد بلا سيف يحميه

سحابة سيف وهمية (٨٥)

وعمت صباحا

(ياعباءات عزنا) (٨٦)

ليرجع هذا الوطن المتختم

للجوع والعري والأعشى

يستجديه قصيدة شعر (٨٧)

١٠- اختلفت الطوايع التي ميزت ابتعائات قصائد الشاعر النقدية من حيث
الاسلوبية وطريقة الأداء ، فبينما كان بعضها ينبعث ابتعائا دينيا تغلفه
أساليب القرآن الكريم وقصصه وأجواؤه كما في قوله :

ألقوا القبض عليّ (إذا شئتم)

باسم الرفض

فقد أدركنا الطوفان

ولا عاصم من أمر الله

لا عاصم من أمر الله (٨٨)

نجد أن بعض المقطوعات الأخرى تنقلنا إلى أجواء مختلفة تظهر فيها طقوس
النصارى والأسس التي تقوم عليها عقيدتهم حيث يقول :

الليلة

أجراس الميلاء تدق

ورهم الريح انشقى

وأدت كلمة

والكلمة رب يحمل سيف الحق (٨٩)

ويقول : هزي جذع النخلة

تسقط جذران الظلمة

يتبارك مجد الرب - الكلمة (٩٠)

ويقول أيضاً : أخبرني (هل يكذب الودع)

أن يقتل المصلوب صالبيه (٩١)

١١- تعددت مواطن التضمين في شعر حيدر النقدي ، إذ استطاع الشاعر أن يقف
على روائع الأدب العربي - قديمه وحديثه - وأن يضمّن شعره شيئاً منها ،
معتمداً في ذلك كله على ثقافته التراثية الواسعة ، وصلته القوية بكل ما هو
معاصر .

فمن الشعر الجاهلي استمد الشاعر معنى بيته الذي يقر فيه بضرورة الخروج
على القيم والبحث عن مكان أكثر نقاء وعفة ، إذ يقول :

وداعا بني نسي - وداعا فانتسي
إلى عالم أنقى شددت رحاليا (٩٢)

وفي هذا تضمين لقول الشنفرى :

أقيموا بني أمي صدور مطيكم
فإنني إلى قوم سواكم لأميل
ومن الشعر الأموي جاءت أبيات الشاعر التي يصف فيها تكالب العرب على
الفلستينين وأساعهم له ، إذ يقول :

وضيعوه

ولويدرون أي فتى

قد ضيعوا

لاقتنوه .. بالملايين (٩٣)

وفي هذا تضمين لقول الأحمدي :

أضاعوني وأي فتى أضاعوا
ليوم كريمة وسداد ثغر
ومن الشعر العباسي استمد الشاعر مضمون شعره الذي ينتقد فيه النقط ويبين
أثره في موت النفس الإنسانية :

لقد قتل النقط النفوس ولا أرى
سوى أن يكون الموت للموت شافيا (٩٤)

وفي هذا تضمين لقول المتنبي :

كفى بك داء أن ترى الموت شافيا
ومسب النايما أن يكن أمانيا
ومن الموشحات الأندلسية أنبثت أبياته التي تناول فيها الزمن الفائت ، حين قلب
له الاصدقاء ظهر المجن ، وتغير التاريخ العربي من ركوب لسهوات الخيل وجهاد
واستشهاد إلى حالة الذبح والخيبة إذ يقول :

وحبيب كنت أمراه

وكان

مؤنسي إذ كان كأسسي مترعا

ويدي تمطر شوقا وحنان

ثم لآ خانني حظي

خان

ومضى يلعن أيام الهوى

وأياييه التي قضى مهي

(أيها الساقى إليك المشتكى) (٩٥)

وهذه الأبيات تحملنا إلى مرشح ابن زهر الشهير :

أيها الساقى إليك المشتكى

قد دعوتك وإن لم تسمع

ونديم همت في غرته

وشريت الراح من راحته

كلما استيقظ من سكرته

جذب الزق إليه واتكا

وسقاني أربعا في أربع

ومن الشعر الأردني الحديث جاء مضمون مطلع قصيدته (تشيد الصعاليك) :

عفا الصفا وانتقى يامصطفى وعلت ظهور خير المطايا شرّ فرسان (٩٦)

ليشكل فيه معارضة وتضمينا مباشرا لأبيات الشاعر مصطفى وهبي التل التي

يقول فيها :

عفا الصفا وانتقى من كوخ ندماني وأوشك الشك أن يودي بإيماني

مولاي إن المطايا لا تسيّر إلى غاياتها إن علاها غير فرسان

ويطول المقام لو أعدنا كل قصيدة إلى عالمها الذي انبعثت عنه ، ولكن يمكن

لدراسة مستقلة أن تبحث في هذا المقام .

١٢- برع حيدر محمود في استلهام التراث واستنطاقه على نحو لم يسبق له مثيل

في الشعر الأردني ، وعلى الرغم من احتفال حيدر بتراث الأمة ونظمه الكثير

من الروائع في هذا الشأن ، فإن نظرتة الغالبة كانت تتسم بروح الاتعاط

والاعتبار ، فهو مقتون أبدا باستخلاص العبرة والمفزي من أحداث هذا التراث

وتجاربه المختلفة .

وقد تنوعت الرموز التراثية في نقده وتعددت مصادرها ، فالرمز التاريخي فطسي

مساحة واسعة من شعره ، اتكأ عليه واستلهمه ليشير من خلاله إلى الثنائية الضدية

التي يشكّلها هذا الرمز مع مفردات الواقع الحاضر ،
فصلاح الدين رمز الفتوحات الإسلامية يشكل في شعره ثنائية ضدية مع حالة
الذلّ والاحتلال الراهن لفلسطين .

يقول الشاعر :

أقد وجمع الصليبيين

ثنائية

إلى حطين

فَعَجَلْ يا صِلاَحِ الدِّينِ

عَجَلْ كَيْ تَخْلُصَ

وَجْهَهَا العَرَبِي (٩٧)

وقبيلة مازن العربية المشهورة التي تمتلك رمز النسب العربي العريق تشكل ثنائية
ضدية مع ضياع الهوية الفلسطينية :

جسدي

واحد

والسكاكين مختلفة

وأنا

لست من مازن

فاستبيحوا الذي تستبيحونه

واذبحوني على مهل (٩٨)

ومعارك العرب الشهيرة تشكل ثنائية ضدية مع حالة الترهل العربي ، وغياب
الهوية الأصيلة :

تعال إليّ من حطين

أو من ساحة اليرموك

أو من مؤتة الشهداء

وحررني من الغرياء (٩٩)

وأما الرمز الديني فقد شكك بعدا حيا وهاما في نقد الشاعر ، برز واضحا من خلال استحضار الشاعر لعدد من شخصيات الرسل عليهم السلام ، للإشارة من خلالها لواقع عربي مؤلم وحزين .

وإلّا شخصية النبي أيوب كانت من أكثر الشخصيات التي اتكأ عليها الشاعر في هذا المجال ، إذ وظفها توظيفا حسنا في قصيدتين كاملتين نقلتا الواقع الفلسطيني بشكل مؤثر لاسيما واقع المنفيين والمشردين الذين تعرضوا للاخطار من قبل الأعداء ومن قبل اخوتهم العرب .

فهو في قصيدته "أيوب يخرج عن مسيره" يستلهم صور المعاناة والعذاب والصبر في شخصية النبي أيوب ليشير من خلالها إلى شخصية أيوب الفلسطيني :

أيوب لم يصبر

كما يتوهم الحكماء

عن جبن

ولكن السواقي

أسلمته إلى السواقي

في ظهره مليون سكين

وفي رنتيه

آبار من السم والزعاف

ويداه موثقتان

والقدمان موثقتان

والدنيا على أيوب

مطبقة بفكيها

تريد حياته (١٠٠)

لكن أيوب الفلسطيني يزيد على أيوب الحقيقي في قصيدة الشاعر بكونه رقما مجهولا لا يعرفه أحد بينما النبي أيوب مخد بالنبوة :
هو ذا الفتى الرقم الذي

لم يرثه أحد من الشعراء

(حين قضى) (١٠١)

وفي قصيدته الثانية بعنوان (أيوب الفلسطيني) يتناول الشخصية نفسها
وبالاسلوب نفسه ليرمز من خلالها لواقع العذاب الفلسطيني :

لكن أيوب

مطلوب لآخرته

من بعد أن توخوا

نقع اليادين

شعوا أعتة دباباتهم

ومشوا

على مواجده

مشي الشياطين (١٠٢)

وغير هذه الشخصية فإن شخصية السيدة مريم العنراء أخذت بعدا واضحا في
شعر حيدر محمود حين وظفها توظيفا رائعا للتعبير عن واقع عربي مؤلم ومرير :

لماذا ؟ يا شيطان الموت

كسرت جرار الماء

وبلت عليه ؟ !

وسلّمت بقايا البصمات العربية

للقرىءاء

لماذا

أدمنت العهر

وما كان أبوك امرأ سوء

وما كانت أمك يا شيطان الموت

بغيا (١٠٣)

وأما الرمز التراثي الأدبي فقد شغل مساحة واسعة أيضاً من حجم قسائد حيدر محمود النقدية ، إذ لجأ حيدر إلى استدعاء عدد من الشخصيات التاريخية الأدبية لينفذ من خلالها إلى نقد واقع عربي معاصر قبيح عنه روح الإبداع والابتكار والاصالة ، ويختلط فيه الحابل بالنابل .

فقد استدعى شخصيتي الأعشى والشنفرى في مجال نقده للغة الحديثة العرجاء ليؤكد من خلالها على عمق التباعد الذي طرأ وحال بيننا وبين لغتنا الأصلية .
يقول في نقده لحال اللغة الآن :

وسقط الشعر شهيد اللغة العرجاء (١٠٤)

أدفع عمري

كي أسمع حرفاً من لغتي

ما أصعب الاتّفهم

أولا تفهم (١٠٥)

ثم يدعو للعودة إلى اللغة القديمة لغة الشنفرى والأعشى فيقول :

أتيت إليك على أهداب الأعشى

وبذاكرتي وهج الشعر (١٠٦)

وبعت المناويل

بعت المواويل

غازلت قافية اللام

في مجلس الشنفرى (١٠٧)

وأما المتنبى فلم يجعله رمزا للشعر الأصيل ، لكن رمزا لشرف النسب وعزة

النفس ، وهذا ما افتقده الشاعر وهو في غربته حيث يقول :

هنا .. يلد الرمل

رملا ... ونملا ،

يمص دم النخل

(آخر ما ظل من شرف الأصل)

فالمتنبى .. غلام يمشط

لحية مولاه

يصنع قهوته ، في الصباح

وفي آخر الليل

يفرك سرته ... ويبتام

ويحلم بالخيال

أن لها موسماً نابضاً بالرجال (١٠٨)

١٣- جاءت عاطفة الشاعر في مختلف عناصرها عاطفة صادقة ، جياشة ، مؤثرة
ناقلة لهماوم الشاعر بصورة متوازنة ومنظمة ، ساعد على ذلك مواكبة الشاعر
لأحداث العصر ، وصدق احساسه ، وقدرته الفائقة في التعبير عما يجيش في
نفسه .

غير أن الشاعر كان يصل أحياناً وفي هذا المجال إلى حدّ المبالغة المبررة التي
كانت تأتي عارضة في بعض قصائده بدافع من حسه العريبي الصادق وشعوره
بأهمية الحدث المطروح ، وبالحاجة الملحة للتعبير عنه في أقوى الصور وأكثرها إثارة ،
ومن أمثلة هذه المبالغة قوله في مدح جنود العراق :

إن من لا يحبكم يكره الله وإن انتقامه لشديد (١٠٩)

وقوله في الحديث عن مفارقات الزمن :

لا تفتح فاك إذا مانادى

زنديق لصلاة الفجر (١١٠)

وقوله أيضاً : إني لأعلن : أن الأرض عاقلة

وليس ينقذها

غير المجانين (١١١)

١٤- تميز الشاعر في نقده بالدقة في اختياره للألفاظ ، والقدرة على توظيف هذه
الألفاظ في مكانها المناسب ، للمواعاة بينها وبين المعاني المطروحة ، وهو على

الرغم من نقده الشديد اللاذع في كثير من المواقع ، إلا أنه كان يتحاشى دائماً أن يستخدم الألفاظ البذيئة كما يفعل بعض الشعراء أحياناً ممن يرغبون بتضخيم حجم الحدث المطروح ، بل كان يميل دائماً الى استخدام الالفاظ المهذبة الموحية وذلك حتى لايفقد النص الأدبي عنده طابعه الفني والجمالي .

١٥- جنح الشاعر في نقده الى الاسلوب المباشر في التعبير ، مبتعداً عن الغموض ، متكئاً على الإيحاءات الجميلة والمعبرة ، محكمة الصياغة والتوظيف ، والتي استطاع من خلالها أن يصل الى قلوب القراء بكل يسر وسهولة ، ولعل في اتجاه الشاعر لمثل هذا الاسلوب تأكيداً كبيراً على اهتمامه بفئات المجتمع المختلفة ، وعلى ايمانه القوي بأهمية تبليغ رسالته لكل فرد في هذا المجتمع ، وبخاصة أن الشاعر كان ومازال من دعاة الالتزام في الأدب .

١٦- استخدم حيدر محمود تعابير بعينها عبر نقده الذاتي ليدلل بها على معانٍ يبني أنها تشكل جزءاً من تصوراته العامة للحياة والناس والتاريخ والسياسة ، وهذه الالفاظ في حقيقتها رموز خاصة لقضايا تعيش في ذهنه ، وتلج على تفكيره ، وتطفو على السطح كلما أراد التعبير عن مشكلة من المشكلات التي تواجهه وتواجه أمته ، ومن أكثر الالفاظ تردداً في شعره لفظة السكين والتي يرمز بها الى الخطر المحقق والأذى المتربص بالأمة أو بنفسه ، بل إن تكرار هذه اللفظة عدداً كبيراً من المرات جعلني أشك بأن الشاعر يعيش في خوف دائم .

ومن المواضع التي وردت فيها لفظة السكين :

ومن نعائب؟ والسكين من دمنا (١١٢)

وكيف أعرف سكيناً ستذبحني

وكيف أعرف سكيناً ستحميني (١١٣)

حسناً .. فلنثبت أننا

حتى والسكين على العنق

الأكفاء

الأكفاء

الأكفاء (١١٤)

وتورقهم

ويحبونها

وتتمزقهم بسكاكينها

ويحبونها (١١٥).

وسوف تجز بالسكين

كل جدائل الزيتون (١١٦).

ومن الالفاظ التي تكررت في معجم حيدر بكثرة لفظة (الجرح) حيث يقول :

ونام على جرحه الجرح (١١٧) .

وطني

يامذا الممتد من الجرح

إلى الجرح (١١٨) .

مر من فتحة الجرح

مستعجلاً (١١٩) .

وأض الجراح التي في الجفون (١٢٠) .

وإذا ما صار جرح الأرض أكبر

زاد دقق الموسم (١٢١) .

وعلى الأغلِب فإنه يستخدم هذه اللفظة كرمز خاص للنكبة الفلسطينية أو فلسطين ذاتها على اعتبارها الجرح النازف في جسم الوطن العربي .
ثم تتكرر غير سطره لفظة الزعتر ، والزعتر يرتبط في وجدان الشاعر بذكرى الأرض ورائحتها الطيبة ، بل هو يعادل لديه الهوية التي تحمله يوما للدين إلى الأرض ، والهوية بدورها يعبر عنها بالتالية :

فازرعينا فوق أهدابك

زيتونا وزعتر (١٢٢) .

واقتلعت أشتال الخبيزه

والزعتر والدحنون (١٢٣) .

ياليت ربها

تصحرو فتتقدما من شر طوفان

وتطلع الزعتر البري ثانية (١٢٤) .

وتهددني لغتي

زعترى الجبلي

بأجمل ما عندها من كلام (١٢٥) .

ويشكل الزعتر لديه ثنائية ضدية مع صورة التطورات الحضارية التي تصيب

الأرض وتمسح رائحتها الطيبة :

من يعرف أسباب الشُّع ١٩

لأن القرية كبرت جدا

مدت فوق تلال العشب

شوارع ودكاكين

واقتلعت أشتال الخبيزة

والزعتر والدحنون (١٢٦) .

وتتكرر لفظة الدكاكين في شعر حيدر محمود كرمز خاص للمطامع والجشع
المادي الذي يدفع الأخ ليفدر بأخيه ، وابن الوطن ليصير عميلاً ضد وطنه والشعب
لينسى موم بلاده :

نحن يا أقصى
كثيرون كما لهم
ولكن الدكاكين كثيرة (١٢٧) .

حتى تظل الدكاكين التي انفتحت
على عذاباته
ذات الدكاكين (١٢٨) .

كل الدكاكين في أوطاننا ليست أثوابها وتبارت في تبنيتها (١٢٩)
فلا دكاكين تلهيهم بضاعتها ولا دواوين تنسي الواحد الثاني (١٣٠)
بينما تحمل لفظة النخيل دلالات معنوية تشير للصمود والشموخ والتجذر في
أعماق الأرض :

مات كل النخيل فينا ولكن نخيل العراق بعد ولود (١٣١)
مات النخيل الذي فيها فلا عذق وجف ماء سواقيها فلا بلل (١٣٢)
١٧- يكاد شعر حيدر محمود كله أن يكون انحرافاً عن اللغة الموضوعية ، وأن يكون
صوراً واستعارات ومجازات ، فلا يكاد يعبر عن معنى واحد من معانيه بأسلوب
تقريبي خال من الصور ، بل يلجأ إلى التشخيص والرسم بالكلمات صوراً
بصرية وحركية في معظم الوقت .

وهو يميل في العادة الى الصور الطبيعية الموحية أكثر من غيرها ، ويشكل منها
تركيبات مدهشة تؤدي الايحاءات المطلوبة ، وتعزز الوحدة العاطفية في قصائده .
يقول في وصف حال من تجبروا بالشعب وأسأوا اليه :

كاد القنوط الذي طالت مخالبه يقضي علينا ولا يبقى على أحد

وأوشك الجبل العالي لكثرة ما تجبروا فيه أن ينهد من كمد
لكنه صاح فيهم صيحة خلعت قلوبهم فانتهى ليل بغير غد (١٣٣)

ويقول في تصوير حجم النفاق العربي :

أه من أمة

تاكل الله حين تجوع

وتشرب من دمه

حين تظماً

لكنها تشتري بكرامتها

قمرًا للخليفة

يفغو على خدّه .. آخر الليل

تعبان من " قرف الحكم "

زعلان من وطن لا يقدر (١٣٤)

وتزدحم قصائده بالتركيب الشعرية الحديثة التي تشكل ايجاءات تكون معقدة في
بعض الأحيان ، لكنها مألوفة على صفحات الأدب الحديث من مثل :

(تحملني الذكرى على رمش عينها) (أنسج من خيطان الحزن قميص اللغة
المهجورة) (لعلي اجيء ولو بعد حين على فرس الرفض) (ويا اظافر صبري مزقي
جسدي)

وعلى الرغم من أن معظم الصور الواردة في شعره جاءت سهلة التأويل ، وأمكن
 للقارئ أن يصل الى المعنى الاجمالي لها ببساطة ، إلا أن البعض الآخر من هذه
الصور جاء معقدًا ولم يترك للقارئ مفتاحا يفتح بواسطته أبواب المعنى ، وهذا كثيرا
ما تكرر في القصائد التي كان يتخرج فيها الشاعر من التصريح بفرضه منها
لحساسية الموضوع أو خطورته ، ويظل عدد هذه الصور قليلا مقارنة مع صورته
الأخرى التي ميزها الوضوح الذي كان ينبثق بعد تأمل في الايجاءات والاجواء العامة
للنصوص الشعرية .

١٨- ظل التكرار طابعا مميزا للشاعر في نقده ، إذ عمد إليه الشاعر لتقوية معانيه والتأكيد عليها ، ولم يرم من ورائه إلى زيادة حجم المساحة الشعرية في دواوينه، فجاء لذلك تكرارا قويا غير ممل ، ولعل أكثر مايلفت النظر خلال تتبع القارئ لهذا الموضوع هو أن الشاعر لم يلجأ لتكرار المعنى داخل النص الواحد فقط ، بل كثيرا ماكانت الفكرة الواحدة عنده تتردد في أكثر من قصيدة وبثياب مختلفة .

يقول مثلا في التأكيد على فكرة غياب الحق والعدل في ظل هيمنة الأعداء وضياع هوية الأمة مكررا المعنى في أكثر من قصيدة :

ومن نعاتب والسكين من دمنا
ومن نحاسب والقاضي هو الجاني (١٣٥) .

فهل مر بكم مقتول
يشكوقاته للسكين (١٣٦) .

نحن
باعونا تماثيل لأمریکا
وباعوا قبة الصخرة أنتيكا
فمن يشكولن ؟ (١٣٧) .

تفرجوا يا أيها العباد
على ضحاياتنا التي
تعاثق الجلاذ
تفرجوا
على الذبائح التي
تشكومدية الصياد (١٣٨) .

وكيف أعرف سكيننا ستنبجني

وكيف أعرف سكيننا ستحميني (١٣٩) .

وأما التكرار داخل النص الواحد فمعظمه في اللفظ وأمثله كثيرة جداً .

يقوله مكرراً أكثر من لفظة داخل مقطع واحد :

سككونون كثيرين

كثيرين .. كثيرين

ولكن لا أحد

وستمتون (مثل الموج)

في كل بلد

ثم ترتلون (كالإسفينج)

لا يبقى لكم ذرع

ولا يبقى لكم ضرع

ولا يبقى ولد (١٤٠)

ويقول أيضاً مكرراً لفظة (علمناه)

فتبيناه

وربيناه على العز

وعلمناه المشي

وعلمناه الرمي

وعلمناه ركوب الخيل

وعلمناه الشعر

وعلمناه السحر

وعلمناه الفقه

وعلمناه أصول الدين (١٤١)

ويعد ،

فقد شكّل النقد الذاتي في شعر حيدر محمود الغرض الرئيس والمحور البارز في معظم قصائده ، لجأ اليه الشاعر عبر سنوات الحدث السياسي العربي للكشف عن واقع عربي مؤلم عاشته الأمة ، وللتأكيد على الدور الهام الذي يلعبه شرف الانتماء في الحفاظ على كرامة هذا الشعب .

وقد حقق الشاعر نجاحا واضحا خلال معالجته لهذا الموضوع المنقل بالهموم الوطنية والقومية والدينية ، ساعد على ذلك كله ثقافته الواسعة وتجاربه الغنية وبخاصة في المجالين السياسي والاجتماعي ، وامتلاكه لادوات الشعر ، التي ساعدته على نقل الواقع نقلا صادقا أميناً .

مصادر الدراسة

- ١- حيدر محمود : الاعمال الشعرية الكاملة ، عمان ، مكتبة عمان ، ١٩٩٠ .
- ٢- حيدر محمود : ديوان المنازلة ، عمان ، دار الكرمل للنشر والتوزيع ، ١٩٩١ .

الهوامش

- (١) حيدر محمد ، الأعمال الشعرية الكاملة ، عمان ، ١٩٩٠ ، ص ٢٨٩ .
- (٢) المصدر نفسه ، ص ١٧١ - ١٧٢ .
- (٣) حيدر محمد ، ديوان المنازلة ، عمان ، ١٩٩١ ، ص ٥ - ٦ .
- (٤) المصدر نفسه ، ص ٩ .
- (٥) المصدر نفسه ، ص ٧٠ - ٧١ .
- (٦) الأعمال الشعرية الكاملة ، ص ٦٢ - ٦٣ .
- (٧) المصدر نفسه ، ص ٢٣ .
- (٨) الأعمال الشعرية الكاملة ، ص ١٢٠ - ١٢١ .
- (٩) ديوان المنازلة ، ص ١٦ .
- (١٠) المصدر نفسه ، ص ٤٧ - ٤٩ .
- (١١) الأعمال الشعرية الكاملة ، ص ٩٥ - ٩٧ .
- (١٢) ديوان المنازلة ، ص ٤٤ - ٤٦ .
- (١٣) الأعمال الشعرية الكاملة ، ص ١٢٧ - ١٢٨ .
- (١٤) الأعمال الشعرية الكاملة ، ص ٢٢٢ .
- (١٥) المصدر نفسه ، ص ١٤٥ - ١٤٩ .
- (١٦) ديوان المنازلة ، ص ٤٠ - ٤٢ .
- (١٧) ديوان المنازلة ، ص ٢٣ - ٢٨ .
- (١٨) الأعمال الشعرية الكاملة ، ص ٢٩٧ - ٢٩٩ .
- (١٩) المصدر نفسه ، ص ٤٨٦ ، ٤٨٩ ، ٤٩٠ .
- (٢٠) ديوان المنازلة ، ص ٧٦ - ٧٨ .
- (٢١) المصدر نفسه ، ص ١٢ - ١٤ .
- (٢٢) الأعمال الشعرية الكاملة ، ص ٤١٣ - ٤١٤ .
- (٢٣) المصدر نفسه ، ص ٤٢٣ .
- (٢٤) المصدر نفسه ، ص ٢٠١ - ٢٠٢ .
- (٢٥) الأعمال الشعرية الكاملة ، ص ٣٢٩ - ٣٣٠ .
- (٢٦) المصدر نفسه ، ص ٤٠٥ .
- (٢٧) المصدر نفسه ، ص ١٤٣ .
- (٢٨) المصدر نفسه ، ص ٤٤ - ٤٥ .
- (٢٩) المصدر نفسه ، ص ١٤٢ - ١٤٣ .
- (٣٠) الأعمال الشعرية الكاملة ، ص ١٩٢ .
- (٣١) المصدر نفسه ، ص ٣٢٩ .
- (٣٢) المصدر نفسه ، ص ٩٥ .
- (٣٣) المصدر نفسه ، ص ٩٠ .
- (٣٤) المصدر نفسه ، ص ٣٩ - ٤٠ .
- (٣٥) المصدر نفسه ، ص ٦٥ .
- (٣٦) الأعمال الشعرية الكاملة ، ص ٣١ .
- (٣٧) المصدر نفسه ، ص ١٢٩ - ١٣٠ .
- (٣٨) المصدر نفسه ، ص ٦٩ - ٧٠ .
- (٣٩) ديوان المنازلة ، ص ٤٩ - ٥٠ .
- (٤٠) الأعمال الشعرية الكاملة ، ص ٤٢٧ - ٤٢٨ .
- (٤١) المصدر نفسه ، ص ١٥٥ .
- (٤٢) المصدر نفسه ، ص ٤٩٤ - ٤٩٥ .
- (٤٣) المصدر نفسه ، ص ٣٩٧ .

- (٤٤) الأعمال الشعرية الكاملة ، من ص ١٠٢ - ١٠٣ .
 (٤٥) المصدر نفسه ، ص ٤٢٥ .
 (٤٦) الأعمال الشعرية الكاملة ، من ص ٨-٩ .
 (٤٧) الأعمال الشعرية الكاملة ، من ص ١٠-١١ .
 (٤٨) المصدر نفسه ، من ص ٢٤٤ - ٢٤٥ .
 (٤٩) المصدر نفسه ، من ص ٨٠ - ٨١ .
 (٥٠) الأعمال الشعرية الكاملة ، ص ٤٢٤ .
 (٥١) المصدر نفسه ، من ص ٤٢٢ - ٤٢٣ .
 (٥٢) المصدر نفسه ، ص ٤٨ .
 (٥٣) ديوان المنازلة ، ص ٢٠ .
 (٥٤) الأعمال الشعرية الكاملة ، من ص ٢٥٦ - ٢٥٨ .
 (٥٥) المصدر نفسه ، من ص ١٢ - ١٣ .
 (٥٦) الأعمال الشعرية الكاملة ، من ص ٣٦٦ - ٣٦٧ .
 (٥٧) المصدر نفسه ، من ص ٢٢١ - ٢٢٢ .
 (٥٨) المصدر نفسه ، من ص ٣٤٦ - ٣٤٧ .
 (٥٩) الأعمال الشعرية الكاملة ، من ص ٢٤ - ٣٥ .
 (٦٠) المصدر نفسه ، من ص ٣٦ - ٣٧ .
 (٦١) الأعمال الشعرية الكاملة ، من ص ١١٢ - ١١٤ .
 (٦٢) المصدر نفسه ، ص ١١٤ .
 (٦٣) المصدر نفسه ، ص ١١٥ .
 (٦٤) المصدر نفسه ، ص ١١٦ .
 (٦٥) الأعمال الشعرية الكاملة ، ص ١١٤ .
 (٦٦) المصدر نفسه ، من ص ١١٩ - ١٢٠ .
 (٦٧) المصدر نفسه ، ص ٤٧٨ ، ٤٨٠ ، ٤٨١ .
 (٦٨) الأعمال الشعرية الكاملة ، من ص ٣٧ - ٣٨ .
 (٦٩) ديوان المنازلة ، من ص ٦٤ .
 (٧٠) الأعمال الشعرية الكاملة ، من ص ٥٨ - ٥٩ .
 (٧١) الأعمال الشعرية الكاملة ، من ص ٧٩ .
 (٧٢) المصدر نفسه ، من ص ٤٨ .
 (٧٣) المصدر نفسه ، من ص ٤٣٥ .
 (٧٤) الأعمال الشعرية الكاملة ، من ص ٣٢ - ٣٣ .
 (٧٥) المصدر نفسه ، من ص ٦٣ .
 (٧٦) المصدر نفسه ، من ص ٣١ .
 (٧٧) ديوان المنازلة ، من ص ٢١ .
 (٧٨) المصدر نفسه ، من ص ١٠ .
 (٧٩) الأعمال الشعرية الكاملة ، من ص ٨٤ .
 (٨٠) المصدر نفسه ، من ص ٢٩ .
 (٨١) المصدر نفسه ، من ص ٣٠ .
 (٨٢) الأعمال الشعرية الكاملة ، من ص ٧٣ .
 (٨٣) المصدر نفسه ، من ص ١٤٨ .
 (٨٤) المصدر نفسه ، من ص ٤٠١ .
 (٨٥) المصدر نفسه ، من ص ٢٣٢ .
 (٨٦) المصدر نفسه ، من ص ١٥٢ .
 (٨٧) المصدر نفسه ، من ص ٢٩٨ .
 (٨٨) الأعمال الشعرية الكاملة ، من ص ٣١٠ .
 (٨٩) المصدر نفسه ، من ص ٤٠٨ .
 (٩٠) المصدر نفسه ، من ص ٤٠٩ .
 (٩١) المصدر نفسه ، من ص ٤٠٩ .
 (٩٢) ديوان المنازلة ، من ص ٦٣ .
 (٩٣) الأعمال الشعرية الكاملة ، من ص ٧٦ .

- (١١٨) المصدر نفسه ، ص ٤٦ .
- (١١٩) المصدر نفسه ، ص ١٨٢ .
- (١٢٠) المصدر نفسه ، ص ٢٢٣ .
- (١٢١) المصدر نفسه ، ص ٢٥٤ .
- وانظر في تكرار لفظة الجرح أيضاً
الصفحات : ٢١٨ ، ٣٦٨ .
- (١٢٢) المصدر نفسه ، ص ٢٤٥ .
- (١٢٣) المصدر نفسه ، ص ٣١٩ .
- (١٢٤) المصدر نفسه ، ص ١١٨ - ١١٩ .
- (١٢٥) الأعمال الشعرية الكاملة ، ص ١٨٦ .
- (١٢٦) المصدر نفسه ، ص ٣١٩ .
- (١٢٧) المصدر نفسه ، ص ١٣٣ .
- (١٢٨) المصدر نفسه ، ص ٧٨ .
- (١٢٩) ديوان المنازلة ، ص ٦٨ .
- (١٣٠) الأعمال الشعرية الكاملة ، ص ص
١١٩ - ١٢٠ .
- (١٣١) المصدر نفسه ، ص ٤٩٤ .
- (١٣٢) المصدر نفسه ، ص ٩٧ . وانظر في
تكرار لفظة النخيل الصفحة : ٤٠٢ .
- (١٣٣) الأعمال الشعرية الكاملة ، ص ص
٤٧٨ - ٤٧٩ .
- (١٣٤) المصدر نفسه ، ص ٣٥٢ .
- (١٣٥) الأعمال الشعرية الكاملة ، ص ١١٤ .
- (١٣٦) المصدر نفسه ، ص ٤٤ .
- (١٣٧) المصدر نفسه ، ص ١٣٦ .
- (١٣٨) المصدر نفسه ، ص ١٤١ - ١٤٢ .
- (١٣٩) المصدر نفسه ، ص ٨١ .
- (١٤٠) الأعمال الشعرية الكاملة ، ص ص
١٢٨ - ١٢٩ .
- (١٤١) المصدر نفسه ، ص ٤١ - ٤٢ .
- (١٤) ديوان المنازلة ، ص ٦٣
- (١٥) الأعمال الشعرية الكاملة ، ص ٣٣٢ .
- (١٦) المصدر نفسه ، ص ١١٣ .
- (١٧) الأعمال الشعرية الكاملة ، ص ٤٩ .
- (١٨) المصدر نفسه ، ص ١٨٠ - ١٨١ .
- (١٩) المصدر نفسه ، ص ٥٧ .
- (١٠٠) الأعمال الشعرية الكاملة ، ص ص
١٠٥ - ١٠٦ .
- (١٠١) المصدر نفسه ، ص ١٠٩ .
- (١٠٢) المصدر نفسه ، ص ٧٤ - ٧٥ .
- (١٠٣) الأعمال الشعرية الكاملة ، ص ص
٢٩٦ - ٢٩٧ .
- (١٠٤) المصدر نفسه ، ص ٤٢٨ .
- (١٠٥) المصدر نفسه ، ص ٢٩٢ .
- (١٠٦) المصدر نفسه ، ص ٢٩٢ - ٢٩٣ .
- (١٠٧) المصدر نفسه ، ص ٣٣٧ .
- (١٠٨) الأعمال الشعرية الكاملة ، ص ص
٢١٩ - ٢٢٠ .
- (١٠٩) المصدر نفسه ، ص ٤٩٥ .
- (١١٠) المصدر نفسه ، ص ٤٣٢ .
- (١١١) المصدر نفسه ، ص ٨٣ .
- (١١٢) الأعمال الشعرية الكاملة ، ص ١١٤ .
- (١١٣) المصدر نفسه ، ص ٨١ .
- (١١٤) المصدر نفسه ، ص ٣٥ - ٣٦ .
- (١١٥) المصدر نفسه ، ص ١٧٦ .
- (١١٦) المصدر نفسه ، ص ٥١ . وانظر في
تكرار
لفظة السكن الصفحات التالية : ٢٢٣ .
- ١٣٣ ، ٧٧ ، ٦٦ .
- (١١٧) الأعمال الشعرية الكاملة ، ص ٢٣٤ .